كتب

تقدّم الشاعرة الفلسطينية نداء يونس في المختارات التي صدرت حديثاً عن دار «مرفأ»، نظرة بانورامية على الشعر الذي كتبته الشاعرات الفلسطينيات منذ سبعينيات القرن الماضي، في الضفّة والقدس المحتلّة وغزّة والشتات، وتبيّن تنوُّع أشكال السرد الشعري فيه

تلك الكلمة المُقدّسة
بانوراما شعر المرأة منذ السبعينيات
القصيدة، فلسطين، الجسد

جعفر العلوني

«إنّه ثمرة حوارٍ مع المترجم محمد قاسمي، الذي سبق وترجم شعري إلى الفرنسية. سألني ماذا يُمكن أن نفعل لشاعرات فلسطين، وخاصّة في ظلّ العدوان الإسرائيلي على غزّة، فجاءت الفكرة الأصليّة حول اختيار وترجمة وتقديم عشر شاعرات فلسطينيات إلى اللغة والثقافة الفرنسية. ولكن سرعان ما تطوّر النقاش إلى إعداد أنطولوجيا ضخمة تحمل عنوان «أرض متشظّية»، في محاولة لتقديم ذاتيّة الشاعرة الفلسطينية وفرديّتها في مواجهة الخارج القبيح، فكريّاً وسياسيّاً».

بهذه الكلمات تشرح الشاعرة الفلسطينية نداء يونس لـ«العربي الجديد» فكرة أنطولوجيا «تلك الكلمة المقدّسة»، التي صدرت حديثاً نسختُها العربية عن منشورات «مرفأ» في بيروت، لتكون بذلك «الأنطولوجيا، الأولى من نوعها، التي تقدّم القصيدة الفلسطينية الأنثى»، كما تقول يونس في مقدّمتها للمختارات، والتي جاءت «على أساس بحث تاريخي ونقدي جرى بموجبه اختيار شاعرات دون غيرهنّ». تقع الأنطولوجيا في 300 صفحة، و«تقدّم سيراً ونصوصاً شعرية لثلاث وعشرين شاعرة، يُمثّلن أجيالاً مُتعاقبة من الشاعرات الفلسطينيات المعاصرات اللواتي يكتبن قصيدة النثر من المهجر والمنافي، ومن فلسطين المحتلّة عام 1948، ومن الضفّة الغربية والقدس وقطاع غزّة الذي يعاني الإبادة جماعية»، كما تقول يونس: «هناك حيث الكلمة المقدّسة، قد تعني الله، القصيدة، فلسطين، الجسد، المرأة، الحبّ؛ وهي موضوعات جوهرية في نصوص الشاعرات». ربما لأن الخيار وقع على الشاعرات المُعاصرات اللواتي يكتُبن قصيدة النثر منذ سبعينيات القرن المنصرم، لن نرى أسماء مثل طوقان والجيوسي وغيرهنّ، فجامعة المختارات كما تقول لـ«العربي الجديد» أرادت أن «تبتعد عن الجثّة المُحنّطة التي تُسمّى القصيدة العمودية، فحالتنا لا تحتمل التكلّس في قوالب ولا الاكتفاء بالوصف. من هنا كان لا بدَّ أن نشجّع التجارب الجديدة، وأن نكتب التجربة، صارخين بصوت عالٍ ضدّ كلّ شيء، ضدّ كلّ قيد».

بين ذاكرة تتحرّك في مواجهة استلاب الهوية والأرض، وبين الذات التي تصرُّ على أنها هناك، تتدفّق قصائد الشاعرات الفلسطينيات كماء الحياة في الأنابيب العاقرة. ورغم أنّ أنطولوجيات الشعر عادة ما تعكس ذائقة من يختارها، فإن يونس -كما تبرّر في مقدّمتها- قد اتّبعت منهجاً تاريخياً ونقدياً تتجاوز بهما رغبتها الشخصية في إعداد أنطولوجيا، فمنهجها النقدي، كما بيّنت لـ«العربي الجديد»، يقوم على أساس «تحليل الخطاب الشعري، وتحديد التمثيلات وخصوصيات الشعر الذي يجري إنتاجه في جغرافية، وبالتالي عدم تكرار تجارب متشابهة». أما المنهج التاريخي، فقد أوضحت أنها «قامت بعملية بحث وقراءة في الوثائق والأرشيف لكلّ ما كُتب كقصيدة نثر، منذ السبعينيات حتى الآن، وعلى هذا الأساس اختارت الفريد في التجربة، انطلاقاً من معرفتها بالشعر الفلسطيني».

إنها، إذاً، محاولة لنقل الصوت الشعري للمرأة الفلسطينية، خصوصاً في ظلّ الحرب ومحاولات المحو والإلغاء المتواصلة منذ 76 عاماً حتى الآن، إلى آفاق جديدة ليشكّل خطاباً ثقافياً وشعريّاً يلفت النظر إلى قضية شعب يرفض أن يموت، فقد «حاولتُ أن أجمع أكبر عدد من الأصوات الشعرية التي تكتبها شاعرات فلسطينيات معاصرات، وتوفّر نظرة بانورامية على الشعر الذي تكتبه الشاعرة الفلسطينية منذ سبعينيات القرن العشرين في المنافي والوطن المحتلّ؛ وتمنح من خلال قصائدهنّ، على اختلافاتها وتباين عوالمها وتشابك طُرق الحكي فيها، الأفق لفَهم أوسع لتشكّل السرد الشعري في فلسطين وفي الدياسبورا (الشتات) وموضوعاته».

سيُلاحظ القارئ للنصوص الشعرية حضور التقسيم الجغرافي بشكل واضح، غير أنّ هذا التقسيم، والذي يرتبط بشكل عضوي بالتقسيم السياسي، وبالتالي أماكن توزُّع الشاعرات، لا يعكس البُعد السياسي القسري الذي فُرض على الشعب الفلسطيني وحده، بل يعكس أيضاً، كما توضّح يونس: «علامة ثقافية لشعر هذه الجغرافية الاستثنائية والمُفكّكة، بل والفريدة في تاريخ الشعوب، كما يُشكّل عتبة لفهم كيف تُفكّر الشاعرات، وموضوعات اهتمامهنّ، وموقع الجسد الأنثوي وجسد فلسطين من شعرهنّ الذي تمنحه هذه الجغرافية خصوصيته اللافتة، ويُمكّن ليس فقط من الوقوف على شكل الصوت الشعري عبر هذه الأرض المحتلّة والمنافي واختلافاته، بل يُلقي الضوء على حركة الجسد الأنثوي في القصيدة وخارجها». ضمن هذا المعنى ستكون شاعرات المنافي: نتالي حنظل، ونعومي شهاب ناي، ورفيف زيادة، وسهير حمّاد، وسمر عبد الجابر، وكوليت أبو حسين، وجمانة مصطفى، بمثابة صرخة متشظّية بين الماضي والحاضر، حيث لا مكان ولا وقت لتذكُّر حتى الأحلام. هكذا سنقرأ أنّ والد شهاب ناي «سبح في الحزن/ ووصل إلى الجانب الآخر/ ثم حاول أن يصنع حياة جديدة/ لكن شيئاً ما بداخله كان يجذف دائماً نحو البيت». مع نتالي حنظل سنتعرف على «جدار يُجهز على أنفاسنا/ ساعة من الوحشيّة كل يوم/ تُسيّج القلوب التي بالكاد تنبض/ خفقان الأوراق في حدائقنا الجافّة/ الحرارة في غزّة وأريحا/ تُعيد لنا الأحلام التي لم يتّسع الوقت أبداً لنتذكرها». ومع رفيف سنتذكّر اللسان العربي «قبل أن يحتلوا لغتي أيضاً/ قبل أن يستعمروا ذاكرتها أيضاً». أما شاعرات فلسطين المحتلّة، فسيتحرّكن في مدار مختلف، مدار الذاكرة والهوية وواقع القمع وأسئلة الذات وتمرّدها الشرس، ربما لهذا تقول شيخة حليوى «نرضع حليب الأُمّ/ نُولد بأعضاء تناسلية سليمة/ ولسان أخرس». لكن مع ذلك، ذات الشاعرة الفلسطينية لن ترضى بالخضوع والاستسلام، وستُحاول ريم غنايم «كأي غريب يعبثُ في شفق المحتَمل/ أحاولُ/ كأي مَنحوس/ أن أقبِضَ على عُمدان السّماء فلا تهوي أرضاً». هنا تحديداً ستكون المخيّلة هي المخلّص من الواقع، وهي التي تسهر عليه، ربما لهذا تقول أسماء عزايزة «مُشعلو أفران النازيّة مجرّد سطر محشوّ في فصل تاريخ سأُمتحن فيه».

شاعرات الضفّة والقدس المحتلّة سيتحرّكن بشكل أقرب إلى الذات دون التخلّي عن رمزية الاسم والذاكرة، حيث يمشين في حقل ألغام مزدوج لا يُعلن أحد مسؤوليةَ عنه، لكنّه واقع معيش وحقيقي ومُؤلم، هناك «حيث أشياء لا يُمكن إهمالها... وحيث الدمع في الشراشف وما يُشير إليه». كلّ ذلك على «مسافة واحدة من كلّ ما يتحرّك/ الجسد وحراسته/ الألوهة وصورها/ العزلة ومفرداتها/ لزوجة القِدَم وثقله/ العُري والارتجاف معه/ الصعود لكن ليس في القشعريرة... مزاجي وانحرافاته نحو التفاهة/ الشتائم/ التخريب، التجريب، التخلي/ البصاق/ الحزن والخسارة/ والتفكير بأن حدود وجودي/ «تنتهي حيث تنتهي أصابع»/ لكنّه جسدي «كوخ مؤجّر» كما تقول نداء يونس نفسها. وهناك حيث «جرّدني الخواء من رغبة آسفة بالضحك/ من قدرة شرهة على الحبّ/ من دافع عَطِش للعطاء» كما تقول آمنة أبو صفط. وهناك حيث «كان الضحك ملء الجرار/ كان حبّنا محظوراً/ يُشبه بلادنا التي تمنع تجمُّع أكثر من عشرة أشخاص في مكان عامّ»، كما تقول رجاء غانم. هنا أيضاً سنقرأ قصائد لكلّ من جدل القاسم، ورزان بنّورة، ورولا سرحان، وهلا الشروف، ودالیا طه، ومايا أبو الحيّات. صوت الشاعرات الغزّاويات سيكون هو كذلك ممثّلاً في المختارات، وسيكون له رمزية خاصة، وسيشعر القارئ بتعاطُف كبير معه، لا سيما في ظلّ ما تتعرض له غزّة من إبادة جماعية يرتكبها كيان الاحتلال منذ أكثر من سبعة أشهر، في ظل تواطؤ غربي واضح، واستسلام «وقائي» ورسمي عربي لافت.

إيناس سلطان ستفعل كل شيء «لأسباب جمالية بحتة»، وفاتنة الغرّة ستخاطب الحب «حتى يأتي»، وستحاول أن «تقنعه بأن في هذه الغرفة امرأة تنتظر». وبينما تشعر منى الصدر بأنها في «مدينة تضحك منها الخرافات/ وتعلّم الأمهات أبناءها بعضاً من التراث للهوية ولشيء من الموضة/ هنا مدينة أجهضت أساطيرها»، سيكون قلب هند جودة «موج يطلق أسماكه الضالّة/ يحتضنها بحر كامل الملح يزداد بها اتساعاً ودونه تضيق». لا تخفي نداء يونس رغبتها بأنها كانت تتمنّى أن تعدَّ أنطولوجيا بعنوان «شاعراتي الفلسطينيات»، على غرار ما فعله الشاعر الفرنسي غيوفيك، الذي أعدّ أنطولوجيا الشعر الهنغاري بالفرنسية، وأطلق عليها «شعرائي الهنغاريون». وتختم حديثها إلى «العربي الجديد» بالقول: «هدفي محددٌ هو إيصال الصوت وما يمثّله بأكبر درجة ممكنة. وعليه، فقد كنتُ أتتبّع السردَ لا الأسماء، الأسماء مهمّة لكن الأهم ما تقول، وهذا هو هدفي الرئيس من الأنطولوجيا: السرد الشعري في فلسطين. هكذا قرأت قصائدهنّ؛ وهكذا من خلال الشعر أيضاً أرسم الحكاية، والقصائد التي اخترتها هي تلك الحكاية».

(شاعر ومترجم مقيم في إسبانيا)

السرد لا الأسماء

لا تخفي الشاعرة الفلسطينية نداء يونس أنها كانت تتمنّى أن تعدَّ أنطولوجيا بعنوان «شاعراتي الفلسطينيات»، مثل ما فعل الشاعر الفرنسي غيوفيك، عندما أعد أنطولوجيا الشعر الهنغاري بالفرنسية «شعرائي الهنغاريون»، لكنها تتبّعت السردَ لا الأسماء، تقول لـ«العربي الجديد»: «الأسماء مهمّة لكنّ الأهم ما تقول، وهدفي كان تتبُّع السرد الشعري الفلسطيني ورسم حكايته وإيصال صوته».

سير ونصوص لثلاث وعشرين شاعرة يُمثّلن أجيالاً مختلفة

محاولة تقديم ذاتيّة الشاعرة الفلسطينية في ظلّ واقع مُحتلّ

نداء يونس

نظرة أولى

في كتابه **عُمّال على طريق يناير: قراءة لثلاث معارك عُمّالية مع نشرات الحركة**، الصادر عن «المرايا للثقافة والفنون»، يروي الباحث والناشط النقابي المصري هشام فؤاد ثلاث قصص من نضالات الطبقة العاملة المصرية، خلال الفترة من 2006 وحتى 2011، ويوثّق لها ويُحلّلها ويستخلص الدروس منها: الأولى عن نضال عمّال المحلّة من أجل أجر عادل، والثانية عن نضال موظّفي الضرائب العقارية من أجل تأسيس نقابتهم المستقلّة، والثالثة عن نضال عمّال طنطا للكتّان ضدّ السياسات الليبرالية الجديدة، في محاولة لإضاءة أوضاع الطبقة العاملة قبيل ثورة يناير 2011.

للصحافي الفرنسي آلان غريش (1948)، صدر كتاب بعنوان **فلسطين: شعبٌ يأبى الموت** عن منشورات «الروابط المحرِّرة» (Les liens qui libèrent)، ويقع في 192 صفحة من القطع المتوسّط. ينطلق المؤلّف، المُتخصّص في شؤون المنطقة العربية ورئيس التحرير السابق لجريدة «لوموند ديبلوماتيك»، ومؤسس موقع «أوريان 21» من عملية السابع من تشرين الأول/ أكتوبر وما خلقته من صدمة داخل الأُطر السياسية الفرنسية، ويقرأ من خلالها الرأي العامّ في بلاده، وموقع باريس من ردّ الفعل الغربي على الإبادة. صدرت لغريش مؤلّفات عديدة حول القضية الفلسطينية، من بينها: «علام يُطلق اسم فلسطين؟».

عن «دار أكورا» في طنجة، صدرت الطبعة الثالثة من مجموعة **استيقظنا مرّةً في الجنّة** للزميل الشاعر الفلسطيني نجوان درويش. صدرت الطبعة الأُولى من الكتاب عن «دار الفيل» في القدس و«المؤسّسة العربية للدراسات والنشر» في بيروت عام 2020، والطبعة الثانية عام 2021 عن «دار درج» في بغداد، كما صدر العمل بترجمات إنكليزية وإسبانية وإيطالية ومقدونية وكرواتية وأوردوية ولغات أُخرى. يُذكَر أنّ الشاعر سيوقّع المجموعة في «معرض الرباط الدولي للكتاب» بجناح «دار أكورا» (رواق D21) في الخامسة والنصف من مساء غد الأربعاء، 15 أيار/ مايو الجاري.

ضمن سلسلة «ترجمان» في «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، صدرت النسخة العربية من كتاب **مدخل إلى فكر الإسلام الاقتصادي من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر** للباحث الفرنسي رامون فيريه، بترجمة خالد محمد جهيمة. يتناول الكتاب أطروحات مفكّرين مسلمين حول التحدّيات الاقتصادية التي واجهت العالم إبّان الخلافة الإسلامية، ومنهم ابن المقفّع والجاحظ وأبو الفضل الدمشقي والغزالي وابن رشد، وأفكارهم حول خطر الاكتناز، وضرورة دوران النقد والثروة، والضرائب العامة المفرِطة والمضِرّة بالنشاط الاقتصادي، وتقسيم العمل وتكامله في المجتمع.

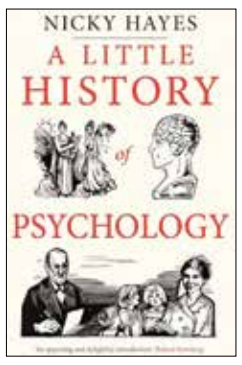

صدر، عن «منشورات جامعة ييل»، كتاب **مختصر تاريخ علم النفس** للكاتبة والمحلّلة النفسية نيكي هايز. يطرح الكتاب تساؤلات شغلت علماء النفس سعياً إلى فهم السلوك البشري والمشاعر والأفكار، مثل: ما الذي يحكم قراراتنا حقّاً؟ من أين تأتي اللغة والذاكرة؟ لماذا يبدو أنّ عقولنا في بعض الأحيان تعمل ضدّنا؟ يستعرض تجارب بافلوف حول التعلّم الاشتراطي، واختبارات ستانلي ملغرام حول مدى الانصياع للسلطة، ومشاريع وكالة المخابرات المركزية السرية للتحكّم في العقل، وطروحات أُخرى لكارل يونغ، وآنا فرويد، وفرانز فانون، ودانيال كانيمان، وغيرهم.

بتوقيع المترجم المصري محمد نجيب، صدرت الترجمة العربية لرواية **منزل الأبواب** للروائي الماليزي تان توانغ إنغ عن «مكتبة دار كلمات للنشر والتوزيع». ومن غلاف العمل نقرأ: «ويلي سومرست موم أحد أعظم الكتّاب في النصف الأول من القرن العشرين. لكن في عام 1921، يجد نفسه محاصراً بزواج تعيس واعتلال صحته وإفلاسه نتيجة استثماراته الطائشة، كما يواجه صعوبة في الكتابة. يعرض عليه صديقه روبرت هاملين مهرباً في مستعمرات المضيق في بينانج، حيث يلتقي بزوجة روبرت الحازمة، وتنشأ بينهما علاقة مزيج بين الصداقة والعداوة».

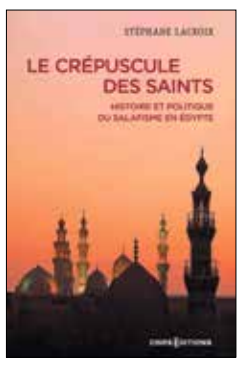

ما هي السلفيّة؟ وكيف اكتسبت هذه الحركة تأثيراً لتُصبح في قلب المشهد الشرعي السنّي الإسلامي؟ ما هي علاقتها بالسياسة؟ وما الفرق بينها وبين الإخوان المسلمين؟ في كتابه **غروب القدّيسين: تاريخ وسياسة السلفية في مصر**، الصادر عن منشورات «CNRSK» الفرنسية، يُجيب ستيفان لاكروا عن هذه الأسئلة، من خلال بحث أجراه في مصر قبل وأثناء وبعد الثورة التي أوصلت الإخوان المسلمين إلى السُّلطة. يتتبّع العمل تاريخ السلفية ومنظّريها، ويقدّم فهماً لقواعدها العملية، ويحلّل التحوّلات التي شهدها الإسلام السياسي المصري على مدى القرن العشرين.

عن «منشورات المتوسّط»، صدر كتاب **فلسفة السينما: مدخل نظري تطبيقي** للناقد المغربي محمد اشويكة. يُحاول العمل الربط بين الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط والفيلسوف الأميركي ستانلي كافيل، وما قاما به من تأثير في حقل الدراسات الجمالية المهتمّة بالصورة في العالَم. يضمّ العمَل قسمَين؛ يُضيء الأوّل على ملامح الاستطيقا النظرية الكانطية، وذلك في ما يُمكن أن يفيد في فهم استطيقا السينما، بينما يهتمّ الثاني بالاستطيقا الكافيلية في جزء من شقّيْها النظري والتطبيقي، في محاولة لتقريب أسئلة فلسفة السينما من الجمهور.